دور المجتمع المدني المغربي في الدفاع عن القضية الفلسطينية وعلاقته بالذاكرة المشتركة المغربية ـ الفلسطينية

عبد الحفيظ ولعلو

نائب رئيس الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني.

مقدمة

من مذكرات الرحالة المغربي ابن بطوطة عن فلسطين، بحسب شهادة عبد الهادي التازي بتاريخ آب/أغسطس 2005 عن هذه الرحلة إلى الشام سنة 1326، التي شملت مصر ثم غزة والخليل والقدس، ما يدل على ارتباط المغاربة بفلسطين وعطاء العلماء والرحالة المغاربيين حيث ساهموا في تاريخ تلك الديار منذ تلك العصور. ارتبط العرب ـ والمغاربيون بصفة خاصة ـ بفلسطين وبالقدس أولى القبلتين ارتباطاً تاريخياً ودينياً حيث كان الحجاج المغاربة يقصدون القدس الشريف للصلاة في المسجد الأقصى، وكان العلماء منهم يفضّلون الإقامة فيها وأثناء الحروب الصليبية شاركت الجيوش المغاربة بطلب من صلاح الدين الأيوبي في تحرير القدس المحاصرة.

منذ وعد بلفور عام 1917 المؤسس للكيان الصهيوني، قام الشعب الفلسطيني بعدة انتفاضات ومعارك لرفض تقسيم الأرض وإحداث دولة إسرائيل سنة 1948 التي تعد نكبة، وهي التي دفعت بالشباب الفلسطيني إلى التظاهر في غزة منذ 30 آذار/مارس الماضي للمطالبة بحق العودة للفلسطينيين، وبسبب هذه الاعتبارات الدينية والسياسية والجيواستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط يعُد المغرب قضيةَ فلسطين قضية وطنية تحظى بإجماع وطني قوي، وبخاصة بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967 التي مثلت منعطفاً سياسياً في العالم العربي والإسلامي، وهذا دفع الكثير من الشعوب العربية وقواها السياسية إلى اتخاذ مبادرات جدية وفعلية لمساندة الثورة الفلسطينية. وتبعاً لذلك تأسست الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني سنة 1968 كأحد

(*) في الأصل أوراق هذا الملف قدمت إلى الندوة الفكرية المغاربية بعنوان: «دور المغاربيين في دعم نضالات فلسطين» الرباط، 9 ـ 10 تموز/يوليو 2018.

مكوّنات المجتمع المدني المغربي المنخرط في دعم القضية الفلسطينية. منذ سنة 1929 ساهمت الحركة الوطنية في تعزيز تلك العلاقات بين الشعبين في المجال الثقافي ببعث أبناء من أسرة بنونة من تطوان وأسرة حجي من سلا للتعلم في مدرسة نابلس الفلسطينية. خلال مرحلة الانتداب البريطاني وتغلغل الصهيونية ساهمت أحزاب وطنية، ومعها جمعيات ثقافية ومهنية، في مبادرات شعبية باتخاذ مواقف داعمة وبجمع تبرعات مالية لفائدة الفلسطينيين في عدة مدن مغربية.

القضية الفلسطينية تعَدّ منذ وعد بلفور قضية مركزية للعرب تجعل من أمن المنطقة واستقرارها إحدى أولويات المنظومة الدولية لما لها من تأثير مباشر في الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية للعالم العربي والإسلامي.

وبعد الإعلان عن دولة إسرائيل واندلاع انتفاضات شعبية رافضة، تعددت أوجه الدعم المغربي الفعلي للمقاومة الفلسطينية. ومنذ ذلك الحين تميّز المغرب بمشاركة واسعة لمختلف مكونات المجتمع، من أحزاب سياسة ومنظماتها النسائية والشبابية ومن النقابات وجميع الجمعيات الحقوقية والمهنية والثقافية والعلماء والجامعات، إضافة إلى المجالس المنتخبة، في كل المناسبات بارتباط مع تطورات القضية وباتخاذ مواقف مساندة على الصعيد الوطني وكذلك في مختلف المؤتمرات العربية والإسلامية وبجمع التبرعات والمساعدات الطبية والإنسانية وبتنظيم المسيرات التضامنية الشعبية المليونية في الرباط، إضافة إلى تنظيمها عدة مؤتمرات عربية ودولية في المغرب بمساهمة شخصيات فلسطينية في إطار الدبلوماسية الموازية المدعمة، الدبلوماسية الرسمية.

وكنموذج حي للدعم الشعبي والجمعوي المغربي للقضية الفلسطينية هناك المواقف وأنشطة الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني التي تمثل فضاء وحدوياً وإطاراً للتواصل والتعبئة الشعبية يجسد الإجماع الوطني حول هذه القضية التي نعدها قضية وطنية.

أولاً: محطات تاريخية مهمة

يرى عدد من الباحثين والمؤرخين، وكذا مجموع المغاربة المهتمين بفلسطين، أنه صار من الضروري استحضار الذاكرة التاريخية المشتركة بين الشعبين لفهم مستجدات القضية الفلسطينية وما لها من علاقة بميزان القوى في منطقة الشرق الأوسط والوضع الجيوستراتيجي للبلدان العربية المجاورة لإسرائيل بارتباط مع المصالح الاستراتيجية للدول العظمى الموجودة في تلك المنطقة؛ فالقضية الفلسطينية تعَدّ منذ وعد بلفور قضية مركزية للعرب تجعل من أمن المنطقة واستقرارها إحدى أولويات المنظومة الدولية لما لها من تأثير مباشر في الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية للعالم العربي والإسلامي منذ انطلاق الثورة الفلسطينية في كانون الثاني/يناير 1965.

إن التدخل العسكري الأمريكي والغربي في العراق في آذار/مارس 2003 بذريعة وجود أسلحة الدمار الشامل التي قد تهدد أمن إسرائيل، أدى إلى تدمير البنية التحتية والقضاء على

أسس الدولة في العراق وعلى مؤسساته الأمنية والعسكرية، وفرض ميزان قوى عسكرياً جديداً في المنطقة لمصلحة إسرائيل بعد القضاء على نظام صدام واستبداله بحكم طائفي تحت إشراف الإدارة الأمريكية.

كثيراً ما تساءل المراقبون الأجانب عن سر الارتباط القوي للمغاربة بالقضية الفلسطينية وبما يجري في الشرق الأوسط على الرغم البعد الجغرافي للمغرب من فلسطين؛ فإضافة إلى انتماء المغرب إلى الأمة العربية والإسلامية مع ما تحمله من تاريخ مشترك ومصير مشترك تميز هذا البلد وشعبه بعلاقاته الوطيدة بأرض فلسطين وبالمسجد الأقصى بالقدس منذ القرن الثاني عشر ومشاركة جيوشه البحرية التابعة للدولة الموحدية في معارك تحرير القدس.

للتذكير، وفي العصر الوسيط، برز دعم المجاهدين المغاربة لتحرير القدس، وشارك الجنود المغاربة المتطوعون في الحروب الصليبية بطلب من السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 1190 إلى السلطان أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي، الذي أرسل جيوشه إلى مدن ساحلية في فلسطين وبلاد الشام عموماً: عكا وصور وطرابلس الشام المحاصرة من جانب الصليبيين.

بعد تحرير القدس بفضل الأسطول البحري الموحدي المكون من 180 سفينة حربية أسس الملك الأفضل بن صلاح الدين سنة 1225 للمغاربة حياً خاصاً بهم يسمى حارة المغاربة وفيه باب المغاربة في المدينة القديمة قرب المسجد الأقصى وحائط البراق اعترافاً بما قدموه من تضحيات جسام وجهاد في سبيل تحرير القدس، حيث لا تزال هذه المعالم التاريخية شاهدة على تلك العلاقات التاريخية بين المغرب ومدينة القدس الشريف حيث كان يحج إليها الحجاج المغاربة للصلاة في المسجد الأقصى الذين فضّل البعض منهم الاستقرار بالقدس حيث اندمجوا مع السكان الفلسطينيين إلى أن جاء الاحتلال الإسرائيلي ودمّر حي المغاربة بدباباته خلال حرب سنة 1967. كما يجدر التذكير بمشاركة المتطوعين المغاربة قبل عقود في ثورة البراق سنة 1929 التي سقط فيها الكثير من الضحايا المسلمين والمغاربيين.

وعلاقة بتلك الحقب التاريخية نذكر نداء المجاهد الريفي محمد عبد الكريم الخطابي الموجه إلى الأمة الجزائرية والتونسية من مدينة أكادير سنة 1925 بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وفي خضم حرب الريف في شمال المغرب ومعركتها الشهيرة، معركة أنوال، حيث يقول المجاهد: «لقد جاءت الساعة التي تهب فيها الأمم الإسلامية كافة لتحطم أغلال الاستعباد ولتستعيد مجدها الغابر، فهذه طرابلس الغرب (ليبيا) ومصر وفلسطين وسوريا والعراق تنهض لطرد المتسلطين عليه». ويضيف قائلاً: «لقد آن أوان تخليص نفوسنا من يد الاستعمار الإفرنجي ولننتهي من محاربة بعضنا بعضاً ولنكن عصبة واحدة لنقوى على دحض الأعداء...».

كما يجب التذكير بأن استشهاد القائد الفلسطيني عز الدين القسام يوم 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1935 مهّد لقيام الثورة الكبرى في فلسطين سنة (1936 ـ 1939) مروراً بتأليف اللجنة العربية العليا في فلسطين بقيادة مفتي القدس الحاج أمين الحسيني وانتهاءً بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1964.

ونظراً إلى العلاقات التاريخية بين المشرق العربي وشمال أفريقيا وبين شعوبهما العربية نظم هذا الزعيم الفلسطيني تظاهرات تضامنية مع عمر المختار في ليبيا ومع ثورة الخطاب في

المغرب لما لهما من تجربة غنية في حرب التحرير الشعبية التي كان لها تأثير وصدى كبيرين في فلسطين جعلا من أحد أشعار الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان من نابلس تؤسس لنشيد الثورة الريفية في إطار وحدة المعركة ضد الاستعمار على الرغم من حالة الاحتلال والحصار على البلدان العربية.

بتاريخ 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، تاريخ قرار تقسيم فلسطين من طرف هيئة الأمم المتحدة، على الرغم من معارضة كثير من الدول المستقلة، كان الحاج أمين الحسيني في بيت الزعيم الخطابي في القاهرة لزيارته حيث طلب منه إعلان الجهاد لتحرير فلسطين كون الزعيم الريفي قائداً مميزاً في حرب التحرير وفي المقاومة الشعبية بفضل تجربته في معركة أنوال. وهكذا ألقى محمد بن عبد الكريم الخطابي خطاباً شهيراً يدعو المتطوعين العرب من المشرق ومن المغرب إلى المساهمة في تحرير فلسطين حيث ألّف كتائب مسلحة كان يقود إحداها المناضل المغربي الهاشمي الطود من بين ما يزيد على خمسة آلاف متطوع مثلت فيما بعد جيش التحرير العربي سنة 1948.

وبسبب هذه الاعتبارات الدينية والسياسية، وكذلك الجيواستراتيجية، للمنطقة العربية، يعتبر المغرب قضية فلسطين قضية وطنية تحظى بإجماع وطني قوي ساهم في تنامي التعاطف مع كل ما يحدث من تطورات لهذه القضية ولوضع القدس الشريف. وهذا ما عمّق لدى المغاربة ذكريات مشتركة غرست مع مرور السنوات في وجدان الشعب المغربي اعتقاداً راسخاً بأن حق الفلسطينيين في تحرير أرضهم من الاحتلال الإسرائيلي حق مشروع وجهاد فرض على جميع المسلمين اتجاه تحرير القدس والمسجد الأقصى من الهيمنة الصهيونية ومن التطرف اليهودي.

يعد الدعم الشعبي للأهداف نفسها ـ ومعه الدبلوماسية الموازية وكذا البرلمانية ـ دعامة أساسية للدبلوماسية الملكية والحكومية؛ حيث يسجل المنتظم الدولي ومعه كل المنظمات العربية والإسلامية باعتزاز كبير وفي كل مناسبة مواقف المغرب ملكاً وحكومة وشعباً نظراً إلى المواقف التاريخية الداعمة التي تحققت على أرض المغرب منذ عقود خلت، ولا أدَل على ذلك مما تقوم به وكالة بيت مال القدس من أعمال مساندة للمقدسيين بتعليمات ملكية وما يقدمه المجتمع المغربي من دعم شعبي وملموس سياسياً ومادياً، إضافة إلى تنظيمه المسيرات المليونية بالعاصمة الرباط كلما تطلب ذلك من تعبير جماعي للشعب المغربي عن مساندته المطلقة وتضامنه مع الشعب الفلسطيني.

لقد مثّلت المقاومة الشعبية والمسلحة المشروعة ضد الاحتلال والاستعمار سمة مشتركة لكلا الشعبين المغربي والفلسطيني في مقاومتهما للاحتلال الأجنبي، حيث جمع بينهما حب الوطن والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية وعن التعايش الديني. من هنا أصبحت القضية الفلسطينية منذ الستينيات قضية وطنية للمغاربة كقضيتهم الوطنية في استكمال وحدتهم الترابية حيث تفاعلوا مع الانتفاضات الفلسطينية منذ أحداث حائط البراق في القدس سنة 1929 بتطوعهم إلى جانب المسلمين الفلسطينيين وبجمع التبرعات في مختلف المدن المغربية لفائدتهم.

عندما انطلقت الثورة الفلسطينية في فاتح كانون الثاني/يناير 1965 بزعامة ياسر عرفات كان الزعيم علال الفاسي ومعه الشعب المغربي وحركته الوطنية أول من ساندوا هذه الانطلاقة

الشعبية وانطلاق أول طلقة من بندقية حركة فتح؛ تلك الشرارة الفاتحة لعهد جديد في تاريخ الأمة العربية التي كانت غارقة في الشعارات الوحدوية الفاشلة وفي النزاعات الحدودية بين الأشقاء العرب الأمر الذي جعل كلمة فلسطين، بما تحمله من تطلعات ثورية للشعوب العربية، أملاً في ذاكرتنا وفي وجداننا وتحفيزاً لنضالاتنا الجماهيرية بعدما كانت تذكرنا باتفاقية سايكس بيكو الفرنسية ـ البريطانية لسنة 1916 وبعدها وعد بلفورد لسنة 1917 ثم التقسيم ثم النكبة ثم الهزيمة ثم معركة الكرامة ثم الانتفاضات الفلسطينية، ولتذكرنا فيما بعد باتفاقية أوسلو وما حملته من مفاوضات لا نهاية لها من دون جدوى لم تؤدِّ إلا إلى زرع المستوطنات وبناء جدار عنصري وحصار قطاع غزة وما صاحبها من جرائم ضد الإنسانية في حق الشعب الفلسطيني.

إن هذا الوضع المأسوي الناتج من طغيان الكيان الصهيوني الرافض لكل حل سلمي وعادل للقضية الفلسطينية، والناتج كذلك من تخاذل كثير من الأنظمة العربية الإسلامية باختيار التطبيع مع هذا الكيان عوضاً من تقديم الدعم اللازم سياسياً ودبلوماسياً ومادياً كذلك للشعب الفلسطيني ولمقاومته المشروعة؛ إن هذا الوضع يسائلنا جميعاً وفي كل يوم عن قدرتنا وعن إرادتنا في الحفاظ على الذاكرة المشتركة بجذورها التاريخية والسياسية والروحية والثقافية التي جعلت من العلاقات الثقافية بين شعبين شقيقين علاقات ود وتعاون تجسدت في الماضي بتوجه بعثة من الطلبة الشباب المغاربة من مدينتَي تطوان وسلا إلى مدينة نابلس الفلسطينية سنة 1928 للتعلم في مدرستها الابتدائية، مدرسة النجاح التي أصبحت فيما بعد جامعة نابلس.

ثانياً: اهتمام الحركة الوطنية بالقضية الفلسطينية انطلاقاً من سنة 1929

نقلاً عن الوثائق التاريخية التي يحتفظ بها السفير أبوبكر بنونة بتطوان يبرز اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب بالقضية الفلسطينية منذ سنة 1929، عندما التحقت لأول مرة مجموعة من التلاميذ المغاربة من مدينتي تطوان وسلا للدراسة بمدرسة النجاح بنابلس بفلسطين المحتلة في فترة كانت فلسطين لا تزال ترزح تحت الاحتلال البريطاني. ومنذ ذلك الحين أصبحت القضية الفلسطينية من الأولويات الوطنية للمغرب، الذي عرف تحت الحماية الفرنسية عدة مسيرات تضامنية وتنظيم عمليات جمع تبرعات مالية لفائدة العائلات المغربية والفلسطينية المحتاجين للدعم المادي في إطار التعاطف والتضامن بين الشعبين، وهو ما دفع السيد عبد السلام بنونة إلى اختيار فلسطين عوضاً من مصر لإرسال ابنه الطيب إلى المدرسة الوطنية بمدينة نابلس سنة 1929 ليلتحق به آخرون من فاس وسلا، هم: محمد الفاسي وعبد السلام بن جلون ومحمد وعبد السلام الخطيب وحجي عبد الكريم والمهدي بنونة، أخو الطيب بنونة.

كانت مدينة نابلس مدينة عتيقة بها عائلات عريقة. وضمت مدرسة النجاح وقتها نخبة من كبار مفكري العالم العربي منهم الشاعر إبراهيم طوقان وعبد الحميد السايح.

في سنة 1931 نظمت مجموعة من الشخصيات العربية من فلسطين ولبنان ومصر والشام والأردن والعراق والجزائر وطرابلس والمغرب، المؤتمر الإسلامي بالقدس لتدارس الوضع العربي وما يتعرض له من مؤامرة التجزئة والاستعمار انتهى بتوقيع بيان إلى الوطن العربي وقعه باسم

المغرب: محمد بنونة من تطوان ومحمد المكي الناصري من رباط الفتح اللذان زارا مدرسة النجاح بنابلس بعد المؤتمر الإسلامي للتواصل مع البعثة المغربية بالمدرسة.

بعد هذه الزيارة توطدت العلاقة بين الشخصيات المغربية والزعيم الإسلامي والمفتي الأكبر السيد الحاج أمين الحسيني والأمير شكيب أرسلان.

وفي سنة 1937 نشرت جريدة **الحرية** لسان حال حزب الإصلاح الوطني بتطوان بيان لجنته التنفيذية تشارك فيه العالم الإسلامي في الدفاع عن حقوق فلسطين والاحتجاج على تعدي إنكلترا على اللجنة العربية العليا ورئيسها الحاج أمين الحسيني وللتعبير عن رفضها لتقسيم البلدان العربية ومقدساتها.

مثّلت المقاومة الشعبية والمسلحة المشروعة ضد الاحتلال والاستعمار سمة مشتركة لكلا الشعبين المغربي والفلسطيني في مقاومتهما للاحتلال الأجنبي، حيث جمع بينهما حب الوطن والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية وعن التعايش الديني.

وفي سنة 1937 من شهر تشرين الثاني/نوفمبر بعث الحاج أحمد بنونة إلى الأمير شكيب أرسلان باسم حزب الإصلاح الوطني بالمغرب لإخباره عن مظاهر التضامن الشعبي مع فلسطين وبتنظيم التظاهرات وجمع التبرعات المالية لإعانة منكوبي فلسطين، كما حضر إلى جانب رئيس الحزب عبد الخالق الطريس بالقاهرة المؤتمر البرلماني العربي للدفاع عن فلسطين كممثلين للمغرب خلال شهر تشرين الأول/أكتوبر 1938.

وبعد نهاية المؤتمر العربي بعث الزعيم الطريس برسالة إلى وزير خارجية إنكلترا يطلب منه العدول عن تقسيم فلسطين لتكوين الوطن القومي اليهودي بفلسطين وكذلك بإطلاق سراح الزعماء العرب ومنح فلسطين استقلالها.

وخلال شهر تموز/يوليو سنة 1939 قام الطاهر الفتياني من فلسطين رفقة الطيب بنونة بزيارة شمال المغرب بدعوة من الزعيم الطريس قصد التعريف بالقضية الفلسطينية وجمع التبرعات لفائدة ضحايا ومنكوبي فلسطين من سكان طنجة والعرائش وأصيلة والقصر الكبير وتطوان وكذلك في مناطق الريف وفي المنطقة الشرقية للمغرب. بتاريخ 30 كانون الأول/ديسمبر 1947 أصدر مكتب المغرب العربي بالقاهرة بياناً للأحزاب المغاربية عن قضية فلسطين موقعاً من طرف عبد الخالق الطريس رئيس حزب الإصلاح الوطني وعلّال الفاسي زعيم حزب الاستقلال والحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور التونسي. والرسالة نفسها تم بعثها إلى السيد عبد الرحمن عزام رئيس الجامعة العربية للتعبير عن التضامن العربي لإنقاذ الوطن العربي من الاستعمار والصهيونية. كما عبرت الأحزاب المغربية والجزائرية والتونسية عن رفضها لقرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وعن رفضها إنشاء مراكز للصهيونية بدعم من الاستعمار الفرنسي لتدريب الشباب اليهودي على الأعمال العسكرية تمهيداً لإرسالهم إلى فلسطين، مؤكدة أن بلاد المغرب الكبير يؤكدون تضامنهم مع إخوانهم عرب فلسطين حتى تتخلص من طغيان الصهيونية ولتعش فلسطين حرة عربية مستقلة.

ثالثاً: شهداء المغرب من أجل فلسطين

إضافة إلى الشهداء من الجنود المغاربة في حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 بالجولان السوري وعددهم 170 شهيداً من القوات المسلحة الملكية حيث تم دفنهم بمقبرة الشهداء بمدينة القنيطرة السورية، ومنذ تقسيم فلسطين سنة 1947 بقرار أممي، شارك المئات من المغاربة المتطوعين في حرب 1948 تاريخ النكبة، حيث التحق عدد من الشباب المغربي بالنضال الفلسطيني وبمنظماته المسلحة: حركة فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية والصاعقة. نذكر من بين هؤلاء الشهداء والمناضلين الأحرار:

ـ **المرحوم الهاشمي الطود**: ابن مدينة القصر الكبير من عائلة المقاومة وجيش التحرير بشمال المغرب، توفي في 16 تشرين الأول/أكتوبر 2016 بعد أن قدم أمام الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بالقاهرة القسَم بأن يخدم المغرب والعروبة والإسلام، حيث تطوع للمقاومة المسلحة استجابة لنداء المجاهد الريفي سنة 1947 بطلب من القيادة الفلسطينية، وقاد هذا المناضل إحدى الكتائب المسلحة ضمن جيش التحرير العربي الذي خاض معارك ضارية بفلسطين المحتلة بداية شهر كانون الثاني/يناير 1948.

ـ **الشهيد عبد الرحمان اليزيد أمزغار**: ابن مدينة أصيلة، من أصول ريفية، مناضل في جبهة التحرير العربية حيث التحق في 19 كانون الثاني/يناير 1974 بالثورة الفلسطينية وقام بعمليات فدائية جريئة داخل التراب الفلسطيني إلى أن استشهد هو ورفاقه في 15 حزيران/يونيو 1975 بعد ست ساعات من المواجهة مع جنود الاحتلال.

ـ **الشهيد عمر الوزاني**: ابن مدينة وزان كان من بين المتطوعين كذلك تلبية لنداء الزعيم الخطابي للمساهمة في حرب 1948 صحبة المرحوم الهاشمي الطود. شارك كذلك في المقاومة بقطاع غزة المصرية آنذاك حيث استشهد سنة 1948.

ـ **الحسين الطنجاوي**: ابن مدينة تطوان انخرط في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة المناضل جورج حبش بعد انخراطه بالحزب الشيوعي الإيطالي، كما قام بعدة عمليات فدائية قبل استشهاده سنة 1974 ودفن في مقبرة الشهداء بمخيم صبرا وشاتيلا ببيروت.

ـ **عبد العزيز الداسر**: ابن مدينة سلا، التحق بحركة فتح بعد دراسته بثانوية النهضة بسلا ودراسته الجامعية بكلية الحقوق بالرباط. استشهد في تفجير لمكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في معركة بيروت سنة 1981 ودفن بمقبرة في العاصمة اللبنانية.

ـ **مصطفى اقزيبر**: ابن مدينة أرفود، استشهد سنة 1994 بجنوب لبنان بعد أن التحق بصفوف الجبهة الشعبية.

ـ **الركراكي النومري**: ابن مدينة آسفي التحق بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حيث ناضل في المقاومة الفلسطينية واستشهد بلبنان سنة 1988.

ـ **حسن فطراح**: ابن مدينة الرباط التحق بالحزب الشيوعي اللبناني وساهم في المقاومة الوطنية اللبنانية ضد إسرائيل واستشهد كذلك.

ـ **عبد القادر بوناجي**: ابن مدينة وجدة مناضل في الحزب الشيوعي اللبناني المساهم في المقاومة الوطنية اللبنانية واستشهد في معارك بيروت خلال الحصار.

ـ **عبد القادر عثمان**: ابن مدينة القنيطرة التحق بصفوف الجبهة الشعبية واستشهد سنة 1986 بعد مساهمته البطولية في المقاومة الفلسطينية.

ـ **نادية البرادلي**: إحدى المناضلات المغربيات في المقاومة الفلسطينية، التحقت بالجبهة الشعبية حيث قامت بعملية فدائية جريئة في تل أبيب في فلسطين المحتلة رفقة شقيقتها غيثة البرادلي، حكم عليها بالسجن عشر سنوات وتم الإفراج عنها قبل رجوعها إلى المغرب، حيث توفيت بعد صراعها مع مرض عضال.

ـ **رقية الراضي**: ابنة مدينة فاس وزوجة أحد كوادر حركة فتح، استشهدت في غارة حربية إسرائيلية على قطاع غزة صحبة صحافي فلسطيني وذلك سنة 2009.

لم يكن هؤلاء الشهداء والمناضلون هم فقط الذين بذلوا دماءهم من أجل فلسطين، بل كانوا ضمن مئات الشهداء المغاربة الذين واجهوا الصهيونية والاحتلال الإسرائيلي بمشاركتهم الفعالة والشجاعة في العمليات الفدائية للمقاومة المسلحة الفلسطينية على أرض فلسطين وفي سورية وفي لبنان كذلك.

مع الأسف، وبعد مرور سنوات على تلك التضحيات لم يتم الاعتراف الرسمي بذلك إلى حد اليوم ولو بإطلاق أسمائهم على شوارع وساحات عمومية أو مؤسسات تعليمية وثقافية بمسقط رأسهم وبالمغرب.

رابعاً: اليهود المغاربة في الذاكرة المشتركة المغربية ـ الفلسطينية

يُطرح سؤال مشروع على المهتمين بهذه الذاكرة وبغير العارفين بتاريخ المغرب وعلاقته بفلسطين المحتلة وبهجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل بدعم من الحركة الصهيونية العالمية. فهل للمكوِّن اليهودي دور في تأسيس هذه الذاكرة المشتركة على الرغم من اختيارهم العيش فوق أرض محتلة تم تهجير سكانها الأصليين وفي دولة يهودية لا تعترف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين بمن فيهم عرب 1948 القاطنون بإسرائيل، في دولة صنيعة الصهيونية والقرارات الأممية الجائرة منذ عام 1947 تنعدم فيها مبادئ المساواة والتسامح الديني.

كان اليهود المغاربة في عهد الحماية الفرنسية يتمتعون، وما زالوا، بنفس الحقوق كالمسلمين، حيث يذكر التاريخ الموقف الرافض للمغفور له محمد الخامس تسليم اليهود للنظام الفاشي للجنرال فيشي بفرنسا بوصفهم مواطنين مغاربة يحظون بحماية السلطان، وهو ما يفسر تشبث اليهود المغاربة إلى حد الساعة بجذورهم الأصلية المغربية وبملك المغرب الراعي لكل المغاربة. ومع ذلك نجحت الحركة الصهيونية المنتشرة في كل المدن المغربية آنذاك في تهجير ما يزيد على 120000 يهودي من المغرب بداية الستينيات إلى إسرائيل وإلى فرنسا وكندا بصفة

خاصة بعد سنة 1963 وبعد حرب 1967 من جراء الميز العنصري الممارس على اليهود المغاربة في إسرائيل.

لقد مثل وجود اليهود بالمغرب موضوع عدة دراسات جامعية لكثير من المؤرخين المغاربة ومن بينهم محمد كنبيب وجامع بيضا مدير الأرشيف المغربي، ومعظمها دراسات ميدانية تؤرخ للعلاقة وللتسامح بين اليهود والمسلمين في المغرب. كما توضح تلك الدراسات صورة اليهود في المخيال الجماعي من خلال الأمثال الشعبية والتقاليد الدينية التي أغنت ذاكرتنا المشتركة.

لقد حاول الأوروبيون أن يظهروا اليهود المغاربة في كتلة منسجمة تعاني الفقر والتهميش في ظل سيطرة إخوانهم اليهود الأغنياء زمن الحماية الفرنسية بالمغرب في وقت كانوا يرفضون التطرق إلى قساوة العيش للمسلمين المغاربة وكذلك إلى المعاناة المهينة لليهود المغاربة عند وصولهم إلى إسرائيل وإقامتهم بمخيمات اللاجئين اليهود.

في سنة 2016 كان عدد اليهود من أصل مغربي في إسرائيل يزيد على 800000 نسمة بسبب الهجرة المكثفة منذ 1948 بحسب إحصاءات الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج.

لقد سبق للباحث الأكاديمي المغربي محمد حاتمي أن كشف عن معطيات حول الطريقة التي تغلغلت بها الصهيونية بالمغرب عبر شبكاتها في كثير من المدن المغربية بالصويرة وتطوان ومكناس منذ سنة 1900 لتنظيم تهجير اليهود المغاربة إلى الخارج، كما كشف عن بعض القرارات الحكومية بعد الاستقلال، التي تتيح حرية تنقل اليهود المغاربة وحقهم في الحصول على جواز سفر بحرية كاملة. نذكر من بين تلك القرارات إصدار دورية سرية لوزارة الداخلية آنذاك سنة 1957 ترخص برحيل اليهود المغاربة حسب دراسات الباحث الأكاديمي محمد حاتمي.

نطرح هنا سؤالاً للنقاش: لماذا يصوت اليهود المغاربة كقاعدة انتخابية لفائدة اليمين الإسرائيلي المتطرف وصمتهم الرهيب إزاء جرائم إسرائيل منذ تأسيسها في وقت يعبرون فيه عن تشبثهم بالمغرب وبمؤسسته الملكية الراعية لحقوقهم الوطنية وبعلاقاتهم التاريخية مع المسلمين المغاربة في إطار التسامح الديني الذي كان يميز المغرب خلال القرون. كما يعبرون في كل مناسبة عن تعلقهم بالعرش العلوي وبملك المغرب رئيس لجنة القدس والساهر على حماية المقدسات الدينية بالقدس الشريف. ونظراً إلى مكانة القدس الشريف بالوجدان المغربي وتاريخه الحافل بالمواقف المتضامنة مع الشعوب العربية والإسلامية حيث تمثل مدينة القدس صلب القضية الفلسطينية لا تقبل أي تنازل من أي كان، يبادر صاحب الجلالة رئيس لجنة القدس في كل مناسبة إلى اتخاذ المواقف المبدئية باسم الأمة الإسلامية حيث تجلى ذلك أخيراً في رفضه واستنكاره الشديدين لقرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب نقل سفارة بلده من تل أبيب إلى القدس ومطالبة المنتظم الدولي للتنديد بهذا القرار الجائر وباحترام القرارات الأممية المتعلقة بالقدس الشريف منذ تقسيم فلسطين سنة 1947؛ رافضاً أي تغيير للوضع القانون والتاريخي والديني لهذه المدينة المقدسة عاصمة دولة فلسطين ومدينة التسامح بين الديانات السماوية.

إنها مناسبة للتذكير بعدم الخلط بين الصهيونية كأيديولوجيا استعمارية واليهودية كدين من بين الديانات السماوية المحترمة، ولا سيّما أن هناك يهوداً مغاربة ينتمون للصف الديمقراطي ولليسار المغربي قد برهنوا بكل شجاعة سياسية عن تضامنهم مع القضية الفلسطينية وعن

إدانتهم للجرائم الإسرائيلية في حق الفلسطينيين، نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر شمعون ليفي، إبراهام السرفاتي، سيون أسيدون، أيدمون عمران المالح، جرمان عياش، وغيرهم من اليهود المغاربة المعروفين بمواقفهم المبدئية والرافضين للصهيونية:

ـ **شمعون ليفي**: أستاذ جامعي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، كاتب عام مؤسسة التراث الثقافي المغربي اليهودي وعضو سابق في قيادة حزب التقدم والاشتراكية، أكد أكثر من مرة ذلك التعايش بين اليهود والمسلمين في المغرب خلال قرون مضت اجتماعياً وثقافياً، وهي علاقات نموذجية في العالم على الرغم العدد المحدود للأقلية اليهودية التي كانت تتمتع بنفس الحقوق مع المسلمين.

ـ **إبرهام السرفاتي**: مهندس، مناضل سابق في اليسار المغربي ومعتقل سياسي سابق، تميزت مواقفه المساندة للقضية الفلسطينية منذ ستينيات القرن الماضي بمواقف معادية للصهيونية ومنددة بمجازر إسرائيل في مخيمي صبرا وشاتيلا مثلاً، ومؤكدة في كل مناسبة أن الأيديولوجيا الصهيونية في حد ذاتها هي عنصرية.

ـ **سيون أسيدون**: مناضل تقدمي مناهض للتطبيع بامتياز كرئيس لمنظمة BDS التي تهدف إلى منع أي تعامل تجاري مع إسرائيل قصد ممارسة الضغط على مركز القرار الأمريكي والإسرائيلي وذلك بفضح كل تعامل اقتصادي واستثماري لرجال الأعمال المغاربة والمستوردين للمنتوجات الإسرائيلية، طبقاً كذلك لقرارات الجامعة العربية القاضية بمقاطعة إسرائيل، وكذلك للموقف الرسمي المغربي المقاطع لدولة إسرائيل سياسياً ودبلوماسياً واقتصادياً وثقافياً.

وارتباطاً بموضوع التطبيع كانت جميع المسيرات الشعبية التضامنية التي عرفتها جل المدن المغربية، وبصفة خاصة في العاصمة الرباط، تؤكد المطالبة الشعبية بتجريم التطبيع بإصدار قانون خاص بذلك وبفضح كل المطبعين. وقد سبق للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني أن ساهمت بفعالية في المطالبة بإغلاق مكتب الاتصال مع إسرائيل الموجود في الرباط وذلك برفع رسالة إلى السيد عبد الرحمن اليوسفي الوزير الأول آنذاك بعد النجاح الباهر للمسيرة الشعبية المليونية في 7 تشرين الأول/أكتوبر سنة 2000 التي كانت رسالة قوية شعبية لطيّ صفحة التطبيع ولو بأشكال غير مباشرة مع الكيان الصهيوني.

خامساً: 50 سنة على تأسيس الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني

كان لهزيمة العرب في حرب حزيران/يونيو 1967 أثر بليغ في نفسية الشعوب العربية والإسلامية التي شرعت في وضع الأسئلة المحرجة عن أسباب الهزيمة، وتكوّنت في النفوس الآلام والأسى على ما عدّوه من إهانة بسبب المسؤولين عن هذه الهزيمة التي سمحت لإسرائيل باحتلال أراضٍ عربية وفلسطينية من دون مقاومة تذكر في ظل الخطب النارية والشعارات القومية لبعض الزعماء العرب.

من أهم الدروس التي استخلصتها الشعوب العربية ومعها الأحزاب السياسية نتيجة فشل السياسات العربية الرسمية بسبب غياب الممارسات الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وبسبب الهيمنة الإمبريالية والرأسمالية على اقتصاداتها ونهب خيراتها الطبيعية النفطية، شرعت القوى التقدمية والديمقراطية العربية في التفكير بجد في وضع سياسة جديدة لمواجهة الخطر الإمبريالي والصهيوني بالمنطقة العربية، إضافة إلى انتفاضة كثير من النخب العربية للمطالبة بالإصلاحات السياسية والدستورية داخل أوطانها وبتأهيل أحزابها للبناء الديمقراطي.

منذ تقسيم فلسطين سنة 1947 بقرار أممي، شارك المئات من المغاربة المتطوعين في حرب 1948 تاريخ النكبة، حيث التحق عدد من الشباب المغربي بالنضال الفلسطيني وبمنظماته المسلحة.

هذا وبمبادرة من بعض الأحزاب الوطنية والتقدمية كحزب الاستقلال وحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الاتحاد الاشتراكي حالياً، وحزب التحرر والاشتراكية، حزب التقدم والاشتراكية حالياً، وكذا من بعض العلماء وأعضاء المقاومة وشخصيات مستقلة تأسست جمعية وطنية تحمل اسم الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، في شهر آب/أغسطس 1968 بمنزل الدكتور الخطيب بالرباط كإطار وطني وأداة وحدوية تعكس الإجماع الوطني حول كفاح الشعب الفلسطيني لمساندته بالملموس وبتعبئة الشعب المغربي لتقديم الدعم اللازم له انطلاقاً من أن القضية الفلسطينية ليست بقضية لاجئين؛ بل هي قضية استعمار وقضية احتلال لأرض عربية، وأن الحل الوحيد لتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني هو المقاومة الشعبية داخل الأراضي الفلسطينية. وهكذا جاءت أهداف الجمعية ترتكز على تحقيق المساندة الفعلية من الشعب المغربي للشعب الفلسطيني والعمل على إنجاز التضامن مادياً ومعنوياً بكل الوسائل المشروعة والتعريف بالقضية الفلسطينية أمام الرأي العام الدولي. كما أكدت الجمعية أنها تتجنب كل تدخل في الشؤون الداخلية لشعب فلسطين، وهذا هو سر صدقيتها واستمراريتها منذ تأسيسها، مؤكدة في نفس الوقت ضرورة وحدة الفصائل الفلسطينية على أساس المشروع الوطني الفلسطيني، واجتناب كل ما من شأنه أن يضر بالتضامن العربي.

بعد تأسيسها كونت الجمعية 21 فرعاً لها في 21 مدينة مغربية كبيرة أو صغيرة للمساهمة في التعبئة الشعبية وللتعريف بهذه القضية الوطنية في كل الأوساط الشعبية بتنظيمها مئات من التجمعات الجماهيرية التضامنية وعشرات الحملات لجمع التبرعات وتقديم الدعم الملموس للفلسطينيين. من دون توقف، 50 سنة من الدعم المتواصل سياسياً ومادياً ظلت الجمعية حاضرة بمواقفها المبدئية وبأنشطتها التعبوية في كل المحطات التاريخية التي عرفتها القضية الفلسطينية، حاضرة في كل المحافل العربية والدولية للتعبير عن تضامن المغرب في تنسيق وفي تعاون مع مختلف الهيئات السياسية والنقابية والمهنية، حاضرة بأطرها في التجمعات العمومية وفي تنظيم المسيرات التضامنية المليونية في الرباط وفي المدن المغربية كلما قامت إسرائيل بجرائمها الوحشية ضد الشعب الفلسطيني وبحصارها المضروب على مدنه وقراه في الضفة الغربية وفي قطاع غزة وفي القدس الشريف. لقد ساهمت الجمعية في تنظيم عدة مسيرات نذكر من بينها:

ـ مسيرة 8 تشرين الأول/أكتوبر 2000 بالرباط: تسمى المسيرة المليونية تضامناً مع انتفاضة القدس بعد الزيارة الاستفزازية لشارون للحرم القدسي بدعم من الجيش الإسرائيلي والمتطرفين اليهود.

ـ مسيرة نيسان/أبريل 2002 بالرباط: تم تنظيمها للتنديد بالعدوان على مدن الضفة، منها جنين ونابلس بخاصة في بداية شهر آذار/مارس، وبمحاصرة القوات الإسرائيلية كنيسة المهد ببيت لحم وكذلك محاصرة الرئيس عرفات في مقره برام الله، أوقع ذلك العدوان أكثر من 200 قتيل فلسطيني ومئات الجرحى والمعتقلين. وبهذه المناسبة لا بد من الاعتزاز بما قام به جلالة الملك محمد السادس بحمله شارة الجمعية المنظمة للمسيرة: «كلنا فلسطينيون» عند استقباله وزير الخارجية الأمريكي كولن بأول في أكادير، وهي خطوة جسدت ذلك الإجماع الوطني والالتحام بين ملك المغرب وشعبه المتضامن مع الشعب الفلسطيني.

سادساً: بعض المواقف الثابتة للجمعية الداعمة لفلسطين

1 ـ على الصعيد الوطني والعربي

من المواقف المبدئية للجمعية الواردة في قانونها الأساس منذ التأسيس مواكبتها مختلف المراحل والتطورات التي عرفتها القضية الفلسطينية سواء ما تعلق بأحداث أيلول الأسود في الأردن سنة 1970، وأحداث كامب دايفيد سنة 1978، أو غزو لبنان وحصار بيروت سنة 1982 والمجازر الإسرائيلية في مخيمات صبرا وشاتيلا التي أدت إلى استشهاد آلاف الفلسطينيين واللبنانيين، أو الهجوم على قواعد منظمات التحرير الفلسطينية في تونس وما تعرضت له المنظمة من ضغوط وخلافات مسّت بوحدتها وبشرعيتها بعد ما قررته القمة العربية في الرباط سنة 1974 كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني حفاظاً على استقلال قرارها السياسي ووحدتها التنظيمية وارتباطاً بذلك التزمت الجمعية دائماً ولا تزال بالتأييد والمساندة لكفاح الشعب الفلسطيني وقيادته النوعية والتشبث بوحدة مختلف الحركات الفلسطينية لتحقيق المشروع الوطني الفلسطيني.

ـ **على المستوى العربي** ساهمت الجمعية في تأسيس الجمعية العربية المشاركة سنة 1972 كما دعت إلى تأسيس منظمات شعبية موحدة في الأقطار العربية على غرار التجربة المغربية التي تميزت بدعمها المستمر للكفاح الفلسطيني في المجال السياسي والإعلامي والمادي.

ـ **وعلى المستوى الفلسطيني** تميزت الجمعية بحضورها ومساهمتها الفعالة في جميع دورات المجلس الوطني الفلسطيني وجميع المؤتمرات للحركات الفلسطينية وبخاصة مؤتمرات حركة الفتح، كما وقع خلال المؤتمر الأخير لها.

ـ **مشاركة الجمعية في بغداد** للاحتفال بالذكرى الثانية للانتفاضة في كانون الأول/ديسمبر 1989 بحضور ياسر عرفات وممثلي المغرب: المجاهد أبوبكر القادري، عبد الرحمن بادو عن حزب الاستقلال وعبد الحفيظ ولعلو عن حزب التقدم والاشتراكية.

وبمناسبة اجتماع الأحزاب الوطنية والتقدمية العربية سنة 1972 بالعاصمة اللبنانية تشكلت الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية وكانت الجمعية من المؤسسين وانتخب

أمينها العام أبوبكر القادري نائب رئيس الجبهة الذي كان حينها الشهيد كمال جنبلاط من لبنان.

2 ـ الدعم المادي: ميزة خاصة بالمغرب في مساندته لفلسطين بصفة ملموسة

تاريخ العلاقات المغربية الفلسطينية هو تاريخ غني بالمبادرات الفعلية للتضامن الحقيقي والملموس سياسياً ودبلوماسياً وإعلامياً وثقافياً، وكذلك مادياً بتنظيم الحملات الجراحية والطبية في فلسطين، وكذلك بجمع التبرعات المالية والهبات العربية الطبية والصيدلانية من طرف الجمعيات من بينها الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني. وقد سبق المكتب التنفيذي للجمعية تقديم تجهيزات طبية وجراحية للجنة الفلسطينية بالقاهرة سنة 2004 ساعدت على تجهيز المستشفيات بقطاع غزة حاملة لوحة: هدية من الشعب المغربي إلى الشعب الفلسطيني.

لا بد من التذكير بما قام به المغاربة من دعم مادي وجمع تبرعات من أفراد الشعب المغربي منذ العشرينيات من القرن الماضي كلما كان الطلب المستعجل لمساعدة المنكوبين والجرحى والضحايا من جرائم إسرائيل وعدوانها على فلسطين ـ كما يجري الآن في غزة ـ بمناسبة الاحتفال بيوم الأرض وبالتظاهر السلمي للتذكير بحق العودة للاجئين.

ـ في سنة 2004: تكلف عبد الحفيظ ولعلو بتقديم مستشفى متنقل إلى الهلال الأحمر الفلسطيني في مقر سفارة المغرب بمصر وبحضور ممثل الجامعة العربية وبحضور ممثلي وسائل الإعلام المصرية والفلسطينية.

ـ نظمت الجمعية كذلك، وبتعاون مع جمعية «ائتلاف أطباء الأسنان المغاربة لمناصرة فلسطين»، حملة طبية لأطباء الأسنان في المستشفى الجامعي الزهراء في رفح، بتنظيم من الجمعية تتكون من 26 طبيب أسنان في مهمة بغزة وتوزيع أدوية.

ـ إرسال كمية مهمة من الأدوية والتجهيزات الطبية (عبر مطار محمد الخامس الدار البيضاء) بحضور ممثلين عن الجمعية وممثلين عن سفارة فلسطين بالرباط.

ـ وخلال العدوان الإسرائيلي على غزة شهر تموز/يوليو 2014 أرسل المغرب بتعليمات ملكية المساعدات الإنسانية من أدوية وجلس للأطفال ومواد غذائية إلى سكان غزة بواسطة طائرات عسكرية تابعة للقوات الملكية. وفي الوقت نفسه بعثت الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني كمية كبيرة من الأدوية والتجهيزات الطبية إلى مستشفيات غزة عبر الجو بتنسيق مع الهلال الأحمر المغربي وسفارة فلسطين بالرباط.

3 ـ مناهضة التطبيع مع الكيان الإسرائيلي، وجه من أوجه المقاومة الشعبية

تعدّ مناهضة التطبيع، كأهم سلاح ضد المصالح الصهيونية، كما بالأمس كانت مقاطعة النظام العنصري في جنوب أفريقيا خلال القرن الماضي حيث نجحت في الضغط على نظام التمييز العنصري للاعتراف بالحقوق المشروعة للأفارقة المضطهدين وللمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين الأفارقة وفي مقدمتهم المناضل نلسون منديلا.

وتمشياً مع أهداف الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني الرامية إلى مناهضة الصهيونية وأيديولوجيتها التوسعية والاستعمارية، أصبح موضوع مناهضة التطبيع مع الكيان الصهيوني يفرض نفسه للحد من كل اختراق إسرائيلي للجسم العربي طبقاً كذلك لقرار الجامعة العربية المتخذ بالإجماع والقاضي بمقاطعة إسرائيل. وهكذا انخرط الجميع في مقاطعة المنتوجات الإسرائيلية وكل تعامل مع هذا الكيان الصهيوني سياسياً واقتصادياً وتجارياً وثقافياً واجتماعياً. وقد سبق للجمعية أن أُلفت لجنة خاصة بموضوع التطبيع كُلفت شخصياً برئاستها سنة 1992 لفضح كل محاولة تعامل مع إسرائيل ومقاطعة المنتوجات الإسرائيلية من مواد فلاحية من تمور وحبوب وتجهيزات صناعية. وهكذا نجحنا في كثير من المناسبات في إبطال تلك المحاولات التطبيعية بتعاون مع باقي الجمعيات الوطنية ذات الأهداف المشتركة، من بينها جمعية BDS التي يرأسها المناضل اليهودي سيون أسيدون المعروف بدعمه للقضية الفلسطينية.

بعد ذلك تأسس المرصد المغربي لمناهضة التطبيع سنة 2013 بمبادرة من مجموعة العمل من أجل فلسطين تعبيراً عن موقف الشعب المغربي قاطبة الرافض لكل أوجه التطبيع. ثم تلاه بعد ذلك وضع مقترح قانون يقضي بتجريم التطبيع مع الكيان الإسرائيلي بتاريخ 29 تموز/يوليو 2013 تقدم به أربع كتل برلمانية قصد المصادقة عليه وهو لا يزال حالياً في طور الدراسة.

4 ـ مكانة بعض الشخصيات الفلسطينية في الذاكرة المشتركة المغربية ـ الفلسطينية

من بين صانعي هذه الذاكرة المشتركة في المغرب نتذكر دور المناضل أبو مروان، أول سفير لفلسطين بالرباط، ومعه أطر دبلوماسية فلسطينية كالمرحوم أبو طارق وعلي القبلاوي والعلمي وآخرين ناضلت إلى جانبه للتعريف بالقضية الفلسطينية والمساهمة في الأنشطة التضامنية للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني ولمختلف الأحزاب والنقابات والجمعيات الوطنية، حيث لا يمكن القفز من فوق مناضل فلسطيني مغربي عرف بأنشطته وبمؤلفاته ومقالاته في الصحافة الوطنية ومشاركته جميع التظاهرات الشعبية الداعمة للقضية الفلسطينية ألا وهو المرحوم واصف منصور الذي رحل عنا في السنوات الماضية بعد رحلته التاريخية من مسقط رأسه بمدينة حيفا الفلسطينية إلى مدينة الرباط حيث استقر بها ودفن في مقبرة بالرباط. لقد ترك فينا هذا المناضل المعروف لدى كل المغاربة نصيباً منه؛ فمنذ أن تعرفت إليه شخصياً نهاية السبعينيات من القرن الماضي في أول لقاء به خلال تجمع عمومي بمقر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب بالرباط بمناسبة الاحتفال بذكرى الأسير الفلسطيني حيث ألقيت بالمناسبة كلمة باسم قيادة حزب التقدم والاشتراكية فدعاني واصف منصور بعدها إلى الانخراط في الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني سنة 1977. ومنذ ذلك الحين لم ينقطع التواصل معه حيث كنا نلتقي في كل مناسبة ولقاء جماهيري للتضامن مع الشعب الفلسطيني بحضور شخصيات من القيادة الفلسطينية التي كانت تعتز بدور الجمعية كونها الحاضنة لكل الأحزاب والنقابات والشخصيات الوطنية في إطار وحدوي يجسد الإجماع الوطني حول هذه القضية التي نعتبرها قضية وطنية، فكلما كان المرحوم ياسر عرفات ورفاقه في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية يزورون المغرب كانوا يتوهون بدور هذه الجمعية وبمساندة جميع المغاربة للكفاح الفلسطيني.

وهكذا أصبح مقرّ سفارة فلسطين إطاراً للتواصل والتنسيق مع مكونات المجتمع المغربي في ما يتعلق بتنظيم الأنشطة التضامنية. كما أصبح مقر الجمعية إطاراً وفضاء تجتمع فيه جميع مكوِّنات المشهد السياسي والنقابي والجمعوي للمساهمة الفعلية في تلك الأنشطة. وهكذا أصبح واصف منصور أحد العاملين النشيطين في الجمعية منذ تأسيسها سنة 1968 كما يعدّ من المكونات الأساسية للذاكرة المشتركة المغربية الفلسطينية كمناضل سياسي وصحافي وشاعر ومؤلف ودبلوماسي ملتزم بقضيته وكذلك كصديق محبوب لدى الجميع نظراً إلى مكانة هذه القضية في وجداننا كمغاربة.

سابعاً: الدعم الرسمي المغربي لقضية فلسطين

بتاريخ 16 أيار/مايو 1948 بعث الوزير الأول بالمملكة المغربية محمد المقري برسالة إلى الأمين العام للجامعة العربية عزام باشا بتكليف من المغفور له محمد الخامس يعبّر فيها عن الأسى والألم من جراء الاعتداء الذي صدر من الصهيونيين على العرب الذين يسكنون الأرض المقدسة ويلتمس منه إبلاغ تضامن جلالته وكل المسلمين المغاربة مع إخوانهم الفلسطينيين، وإنقاذ المسجد الأقصى قبة الإسلام الأولى وأحد المساجد الثلاثة المقدسة.

هذا وبعد أن قام المغفور له محمد الخامس قبل الاستقلال وبعده بمبادرات تضامنية وبزيارة المشرق العربي أصبح الدعم الرسمي بقيادة المغفور له الحسن الثاني يحتل أولوية في السياسة الخارجية للمغرب في الدبلوماسية الملكية وبخاصة بعد هزيمة حزيران/يونيو1967 وكذلك قبلها بعد انطلاق الثورة الفلسطينية في فاتح كانون الثاني/يناير 1965 بقيادة ياسر عرفات التي فجرت معركة الكرامة في آذار/مارس 1968 للشروع عملياً في المقاومة المسلحة الفلسطينية والدفاع عن كرامة الشعب الفلسطيني.

في سنة 1969 أحرقت إسرائيل المسجد الأقصى، وعقب هذه الجريمة الصهيونية بادر الحسن الثاني بالتشاور مع الملك فيصل السعودي بدعوة إلى مؤتمر قمة إسلامية في الرباط من أجل حماية القدس والمسجد الأقصى بمشاركة ياسر عرفات. كما احتضن المغرب القمة العربية في الرباط سنة 1974 حيث تم الإقرار بالإجماع باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني وباعتراف احترام استقلالية القرار الفلسطيني من دون وصاية عربية كما كان في السابق. وبعدها حضر ياسر عرفات اجتماعاً للجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1976 وألقى كلمة الثورة الفلسطينية أمام جميع الدول، وأكّد في نفس الوقت تشبثه بالسلام وبالمقاومة المشروعة للشعب الفلسطيني من دون أي تنازل عن حقوقه المشروعة وفي مقدمتها حقه في العودة كما تنص عليها القرارات الأممية.

بعد هذا الخطاب التاريخي بُعثت فلسطين من التجاهل الدولي ومن النسيان والإنكار لتلك الحقوق أمام عجز المنتظم الدولي والأمم المتحدة ومجلسها الأمني على تطبيق كل القرارات المتعلقة بفلسطين وبالقدس الشريف. وعلى الرغم ذلك تواصل الانخراط الفلسطيني في مختلف المنظمات الدولية، كمنظمة دول عدم الانحياز والمؤتمر الأفروآسيوي، وهو ما شجع الفلسطينيين على تنظيم الانتفاضة الأولى سنة 1987، فدافع الأطفال والشباب بالحجارة أمام

الدبابات الإسرائيلية عن حقهم في الوجود وفي الاستقلال الوطني، فكان درساً تاريخياً سجلت فيه المقاومة الفلسطينية صفحات من التضحية والثبات والتشبث بالأرض، وهذا دفع الكثير من الدول إلى الاعتراف بالدولة الفلسطينية. وهكذا احتفل المغرب برفع العلم الفلسطيني لمدة يومين من الإعلان الرسمي عن الوجود الفلسطيني في المحافل الدولية على الرغم معارضة إسرائيل وحليفها الاستراتيجي الولايات المتحدة الأمريكية. جاء ذلك بعد عشر سنوات على رفع العلم الفلسطيني على ممثليته الدبلوماسية بالرباط ومنحها رسمياً الصفة الدبلوماسية كباقي الدول سنة 1978 كسفارة للدولة الفلسطينية بالمغرب... ثم جاء الاعتراف الدولي بها سنة 2012 كعضو مراقب في هيئة الأمم المتحدة.

ونظراً إلى العلاقات التاريخية والروحية التي تربط المغاربة بالقدس الشريف وما تمثله من مقدسات دينية من المسجد الحرام ومن حي المغاربة ومختلف زواياه بالمدينة القديمة التي كان يسكن بها عدد مهم من الأسر المغاربية، ولهذه الاعتبارات قررت منظمة المؤتمر الإسلامي إحداث لجنة القدس وانتخاب الحسن الثاني رئيساً لها سنة 1979 بهدف دعم أهلها المقدسيين الصامدين والحفاظ على مآثرها التاريخية والدينية. ولهذا الغرض أُنشئت مؤسسة مالية تحمل اسم وكالة بيت مال القدس الشريف مقرها بالرباط للسهر على تفعيل المشاريع الاجتماعية والثقافية وتقديم المساعدات الإنسانية إلى هؤلاء المقدسيين. والجدير بالذكر أن المملكة المغربية توجد على قائمة الدول الإسلامية والعربية في ما يتعلق بالدعم المالي واللوجستي للقدس الشريف.

وعندما تربع جلالة الملك محمد السادس على عرش أسلافه جعل من قضية فلسطين والقدس الشريف من أولوياته الدبلوماسية كرئيس للجنة القدس حيث قام بتطوير المؤسسة وبدعم مشاريعها المقررة من قبل الوكالة في المدينة القديمة. إضافة إلى ذلك، وبتنسيق من الرئيس الفلسطيني محمود عباس، قام الملك بعدة مبادرات على الصعيد الدولي للتصدي لكل المؤامرات الإسرائيلية المستمرة لتهويد القدس وتغيير معالمها التاريخية والدينية في تجاهل تام لجميع القرارات الأممية ولمجلسها الأمني المتعلقة بالوضع الخاص للقدس الشريف كأرض فلسطينية وكعاصمة للدولة الفلسطينية.

يرى معظم الباحثين والمفكرين العرب أن الوطن العربي يمر حالياً بمرحلة تشرذم وصراعات داخلية قد أثرت سلباً في القضية الفلسطينية، وكذلك في وحدة فصائل مقاومتها السلمية والمسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي. وإذا تأملنا المحطات التاريخية لهذا الكفاح الوطني الفلسطيني وما قدمه المغرب وقواه الحية السياسية بصفة خاصة نلاحظ عدة مميزات للدعم الشعبي وما قدمه مجتمعنا المدني لنضالات فلسطين خلال ما يزيد على خمسة عقود نلخصها في بعض السمات:

1 ـ انخراط فعلي لجميع مكونات المجتمع المغربي في مختلف محطات القضية الفلسطينية منذ انطلاق الثورة سنة 1965 إلى يومنا مترجماً الإجماع الوطني.

2 ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للقيادة الفلسطينية مع العمل على دعم وحدة الفصائل وحركات الكفاح.

3 ـ الحضور المستمر للقضية في جميع الأنشطة السياسية والدبلوماسية والثقافية والإعلامية المختلفة والأحزاب والنقابات والجمعيات المغربية على الصعيدين الوطني والدولي.

4 ـ الدعم الشعبي المنظم باستمرار من طرف الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني منذ تأسيسها سنة 1968 وبشراكة مع جمعيات ذات أهداف مشتركة، ما يفسر استمراريتها ونجاح الكثير من المسيرات الشعبية التضامنية التي تميز المغرب.

وعلى الرغم من ذلك الدعم الشعبي لعدة سنوات نلاحظ تراجع الاهتمام العربي والإسلامي بالقضية الفلسطينية، في وقت تزداد الجرائم والعدوان ضد الشعب الصامد وآخرها ما يتعلق بوضع القدس والمسجد الأقصى.

والأسباب متعددة في رأينا:

أ ـ تأثير الانقسام الفلسطيني الداخلي في وحدة الصف العربي وفي المشروع الوطني الفلسطيني.

ب ـ فشل اتفاقية أوسلو وما عرفته من خلافات بين الحركات الفلسطينية ومواقف متطرفة لحكومة نتنياهو الرافضة لحل الدولتين.

ج ـ فشل مسلسل المفاوضات بين الطرفين بسبب محاولة فرض تنازلات سياسة على القيادة الفلسطينية.

د ـ تبعات الربيع العربي أدت إلى إضعاف الدول العربية وتركيزها على القضايا الداخلية والقطرية.

هـ ـ تزايد عمليات التطبيع بصفة مباشرة أو غيرها مع العدو وفِي مختلف المجالات الاقتصادية والتجارية والثقافة والإعلامية على الرغم موقف المقاطعة الرسمية للجامعة العربية.

ومع ذلك لما قرر الرئيس الأمريكي نقل سفارة بلاده من تل أبيب إلى القدس ارتفعت أصوات الرفض والتنديد بهذا القرار في جميع الدول وحتى الدول الغربية، فاندفعت الشعوب العربية، وبخاصة في المغرب، بتنظيم مسرات تضامنية وكذلك في كثير من الدول الأوروبية والآسيوية. وقد تميز موقف الملك رئيس لجنة القدس برفضه القاطع لذلك القرار المناقض للقانون الدولي ومقررات هيئة الأمم المتحدة.

خلاصة

إن الجمعية، وهي تحتفل بالذكرى الخمسين لتأسيسها، لا تزال على العهد الذي قطعته على نفسها للمقاومة الفلسطينية ولا تزال وفية لأهدافها الداعمة والمساندة للكفاح الفلسطيني كيفما كانت التطورات السياسية والميدانية للقضية التي نعدّها في المغرب قضية وطنية. كما لم نزل نؤكد ضرورة وحدة الصف الفلسطيني إيماناً منا بأن تحرير فلسطين وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف واجب وطني عربي وإسلامي ولكل أنصار الحق والسلم في العالم.

وختاماً نترحم على أرواح شهداء المقاومة الفلسطينية وكافة الشهداء المغاربة الذين ضحوا من أجل فلسطين من متطوعين ومناضلين وكذلك من أفراد القوات المسلحة الملكية الذين استشهدوا في دفاعهم عن الأرض المحتلة وفي الجولان السورية خلال حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 □